الفصل الأول
هـذا خلـق الله

دلالات جمال الألوان فى المخلوقات

الإعجاز القرآنى وحديثه عن فساد البيئة

الإسلام دين الصحة والنظافة

الماء بين العلم والدين

نظرة الإسلام للحيوان

المخدرات بين التحريم والتجريم

دلالات جمال الألوان في المخلوقات

الحمد لله الذي خلق فسوّى قدر فهدى والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

إخوة الإسلام:

اقتضت حكمة الله أن يستخلف آدم في الأرض، ومن بعده ذريته، وسخر كل ما في الكون لخدمته، بل إن الطبيعة ذاتها سخرها الله له بكل ما فيها وحتى يتكيف معها. وجعل الجو في الفصول أربعة، حتى يستطيع الإنسان أن يعيش على ظهر هذه البسيطة، ومن مجمل هذه الفصول فصل الربيع الذي يُعرف باعتدال جوه ونضارة الأزهار وخضرة الزرع والألوان فيعرف بجمال الطبيعة الخلاب[1]. فحول روعة إبداع الله الخالق الأعظم فيما نشاهده من جمال الألوان في الطبيعة وفي إبداع الورود والزهور، بحيث لايملك الإنسان العاقل المتأمل لعظمة إبداع الخالق العظيم مردداً: سبحان الله رب العالمين.

إخوة الإسلام:

فالألوان: لغة تحدث المشاهد بكثير من المعاني، وهي لغة من لغات الفطرة، وإن الناظر لآيات القرآن الكريم ليجد أن الله ﷻ أورد ذلك في آيتين من سورة فاطر.

قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**} [فاطر: 27، 28].

والآية فيها استفهام تقريرى وتحمل معنى التعجب يقول الحافظ ابن كثير (رحمه الله): أراد الله أن ينبه على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء،

(1) من مقال للدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم.

فيخرج به ثمرات مختلف ألوانها منها الأصفر والأحمر والأخضر والأبيض... إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو مشاهد، تتنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى:{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد: 4].

وقوله تعالى:{وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} أى: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو مشاهد أيضا من بيض وحمر، وفى بعضها طرائق وهى الجدد جمع جدة: أى مختلفة الألوان والطرق. قال ابن عباس: الجدد وهى الطرق. وعند العرب شديد السواد يقال له: غربيب.

وقوله تعالى{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ} أى كذلك من الحيوانات من الناس والدواب وهو كل ما دبَ على القوائم، كذلك هى مختلفة أيضا، فالناس منهم بربر وحبوش وهم في غاية السواد، وصقالبة، وروم وهم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك، فلا فرق بين عربي وأعجمي وأبيض وأسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13] وفى سورة الروم يقول تعالى{وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: 22].

وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منها مختلف الألوان، فتبارك الله أحسن الخالقين.

بيد أن الجمال الذي يضفيه الله على مخلوقاته ليس محصوراً في الصورة فحسب، ولكنه جمال يتصل بجمال المخلوقات الأخرى، فيكمل بعضها بعضاً، ولذلك صارت المخلوقات في الكون كلوحة فنية جميلة رائعة الحسن والزينة، توزعت فيها الألوان بحيث ينسجم لون كل مخلوق مع لون المخلوقات الأخرى ويتناغم معها.

إخوة الإيمان والإسلام:

يتبين من ذلك أن جمال أى مخلوق ليس جمالا في ذاته فحسب، ولكنه

جمال له أبعاد أخرى في المخلوقات من حوله. وله صلات مرتبطة بها ارتباطا وثيقا.

وهذه أمثلة إخوانى في الله تزيد الأمور وضوحا:

فالزهور مختلفة الألوان وبالتالى فهى متنوعة الحسن والجمال، وتضفى على ماحولها من أجزاء النباتات رونقاً بديعاً، وعلى كل ما حولها منظراً جميلاً، وفضلاً عن كل ذلك فجمال ألوان الزهرة وجمال رائحتها مرتبطة باستمرار حياة النباتات واستمرار حياة الحشرات بل ومرتبطة باستمرار الأرزاق في هذه الأرض. فالزهرة بألوانها ورائحتها تجذب الحشرات إليها، فتحدث عمليات تلقيح النباتات وتظهر الثمرات والحبوب رزقا للإنسان وغيره من المخلوقات الحية جميعها. إذا فهناك ارتباط وثيق بين الجمال والزهور وبين إخراج الثمرات في هذه الأرض واستمرار الحياة بالنسبة للنباتات كما أن جمال الألوان وجمال الرائحة من الوسائل التي تجذب بعض الكائنات الحية من الحشرات والطيور والحيوانات في كل من الإناث والذكور تجذب الجنس الآخر إليها ويحدث التلقيح والتناسل. وهكذا جعل الله تعالى في إبراز معانى الجمال بالألوان من أسباب استمرار الحياة في المخلوقات، وجمال منظرها وعطرها مقصوداً قصداً في فطرة خلقها، ولذلك جاء في الحديث الشريف: ﷺ **إن الله جميل يحب الجمال** ﷺ[1].

ولقد جاءت معانى كثيرة لهذا الحديث كما قال العلماء منها:

1) قول النبى: ﷺ **إن لله تسعة وتسعين إسما - مائة إلا واحدة - إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة وهى: الله الواحد، الصمد، الأول الآخر، الجميل...** ﷺ[2].

قال الحافظ في الفتح: نقل النووى اتفاق العلماء على عدم حصر أسماء الله تعالى في التسعة والتسعين، وإنما المقصود من الحديث: أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة

(1) رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.
(2) فتح المنعم بتصرف يسير.

بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء.

وقال الآلوسي بعد كلام مفيد له وبعد التحرى التام وهو عدم الحصر في التسعة والتسعين اسما: فكل كلام يليق بذاته سبحانه مانع أن تسمى به ذاته، وكمالاته تعالى لاتتناهى.

فالجميل من البشر هو الحسن الصورة وحسنها يستلزم السلامة من كل نقص وإطلاق الجمال على الله من باب هذا اللازم

2) وقيل معناه: جميل الأفعال بكم والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه، ويغنيكم من التكبر، ويثبت الجزيل ويشكر عليه.

3) وقيل: جميل بمعنى مجمل ككريم بمعنى مكرم.. وهكذا.

4) وقيل إن كل أمره ﷻ حسن جميل، فله الأسماء الحسنى، ومعنى الجمال أى: يجب منكم التجمل في الهيئة[1].

إخوة الإسلام:

وهناك أمثلة أخرى عن جمال الألوان وفطرة الخلق: كما يقول الدكتور أحمد شوقى إبراهيم: فإذا نظرنا تحت سطح البحر ليلا، لشاهدنا عالما مدهشا، فإذا سلطنا ضوءا كاشفا قويا تحت سطح الماء، فإننا نرى في ألوان الأسماك عجبا، ونرى صورا فيها من الجمال ليلا غير صور الجمال فيها أثناء النهار. وظاهرة تغير ألوان الأسماك في البحار ليلا من أعجب أسرار خلق الأسماك وأكثرها غموضا، وإذا شاهدنا الأسماك زاهية الألوان نهارا كالسمكة الببغاوية أو السمكة القراشية مثلا وشاهدناها هى نفسها ليلا بواسطة الأضواء الكاشفة فإننا نشاهد أن ألوانها الزاهية قد اختفت وصارت بألوان أخرى داكنة.. فهذا هو جمال الفطرة.

وربما الحكمة في ذلك أنها صورة من صور جمال الفطرة التي فطر الله تعالى خلقه عليها وربما تكون وسيلة لحماية الأسماك أثناء نومها وذلك من وسائل التمويه ومحاولة الهرب من الأعداء.

إخوة الإسلام:

(1) دليل الفالحين.

ومهما يكن من أمرٍ فهذا يدل على أن الجمال من فطرة الخلق وما على الإنسان إلا أن يطالع صور الجمال في فطرة كل خلق ويتدبر آيات الله تعالى فيه فيزداد إيماناً ويزداد بالله يقيناً وجاء ختام الآية السابقة بقوله تعالى{إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}.

قال " ابن كثير " : أى إنما يخشاه تعالى العلماء لأنهم عرفوه حق معرفته، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم، والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم، وقوله تعالى{إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} أى: غالب على كل شيء بعظمته غفور لمن تاب وأناب من عباده.

وقد ضرب الله ﷻ المثل مبيناً ماسبق في آية جامعة مانعة في سورة النحل، فقال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} [النحل: 10 - 13].

وإذا كان حكيم الصين (كونفوشيوس) قال: (إنه لاموضع لإنسان في المجتمع إلا إذا درب نفسه أولا على إدراك الجمال) فإنه لم يأت بشيء جديد. حيث إن الإسلام أول من هتف بهذا المبدأ، ونادى به، ودعا إليه)[1].

اقرأ قوله تعالى{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الرعد: 3].

وهكذا يتضح أن الجمال جمال في نفسه ولاتظهر قيمته أكثر وأكثر إلا إذا تواجد غير الجميل ولولاه ما عرف الجمال. وصدق الرسول الكريم ﷺ حيث قال:♂**إن الله جميل يحب الجمال**═.

نسأل الله الهداية والتوفيق

(1) الدين والحياة، د/ محمود عمارة.

* * *

الإعجاز العلمى وحديثه عن فساد البيئة

الحمد لله رب العالمين، ذى العظمة والجبروت والملك والملكوت، الذي أنشأنا من الأرض نسما، ويسر لنا فيها أرزاقا وقسمها واستعمرنا فيها أجيالا وأمما فقال ﷻ{ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّن الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 55، 56].

وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد:

إخوة الإيمان والإسلام:

فإن هذا الكون الذي نعيش فيه على رحابة أرجائه وسعة أقطاره أرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، قد خلقه الله بقدرته وأبدعته يد عنايته آية في الكمال وغاية في الإتقان والإحكام، وقد جاء النهى من الله بعدم الإفساد في الأرض، ولكن الإنسان لم يحسن استخدام هذه النعم فضلا عن تقصيره في واجب الشكر عليها امتدت يده بالإفساد والفساد في البيئة التي يعيش فيها، قال تعالى:{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61].

معنى كلمة البيئة وتلوثها:

كلمة البيئة مشتقة من بوأ، ويقال: تبوأت منزلا أى: نزلته قال تعالى حكاية عن يوسف:{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} [يوسف: 56].

والبيئة: المنزل والحال ويقال بيئة طبيعية وبيئة اجتماعية وسياسية.

وبيئة القوم: هى موضع نزولهم كما في القرآن:{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ} [الحشر: 9].

ومعنى كلمة البيئة في الإصطلاح (كما أقرها العرف الدولى): هى مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الحية.

أما عن مضمون التلوث البيئى: جاء في لسان العرب تحت كلمة

(لوث) أن التلوث يعنى التلطيخ يقال: تلوث الطين بالتبن ولوث ثيابه بالطين أى: لطخها ولوث الماء أى: كدره وتشير المعاجم إلى أن التلوث يعنى: خلط الشيء بما هو خارج عنه فتقول لوث الشيء بالشيء أى: خلطه به.

أما عن مفهوم كلمة التلوث في الاصطلاح العلمى هو: إدخال الإنسان مباشرة أو بطريق غير مباشر لموارد في البيئة يترتب على ذلك ضرر وخطر على صحة الإنسان والموارد الحية

أما عن مفهوم التلوث في القرآن الكريم، لم ترد في القرآن كلمة (تلوث) بلفظها ولكن بمفهومها اللغوى الأساسى (الفساد) وقد وردت مادة (فسد) في القرآن الكريم أكثر من خمسين موضعا[1].

إخوة الإسلام:

وإذا تدبرنا وتأملنا نجد أن كلمة (فسد) أوسع وأدق في الوقت ذاته من كلمة (تلوث) فالفساد نقيض الصلاح، وفسد الشيء إذا تلف وأصابه الخلل، وإذا كان معنى الفساد على هذا النحو من الاضطرار والخلل الذي يدخل على الشيء بفعل، أو بإدخال شيء غريب أو أجنبى عنه، فإن استخدام القرآن الكريم لتلك المادة يبدو أكثر دقة وإحكاما ودلالة على المقصود من كلمة (تلوث) التي تستخدمها العلوم المعاصرة فهى ذات معنى غير منضبط، حيث إنها تدل على خلط الشيء فإنها تعنى أمورا أخرى بعيدة عن المعنى السابق.

ومما سبق نستطيع أن نقول: إن استخدام مادة الفساد بالمفهوم السابق دون كلمة تلوث يقدم وجها آخر من وجوه الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم ومع ذلك وفى غفلة عن كلمات القرآن الكريم وألفاظه ما زال الإصطلاح العلمى يستخدم كلمة التلوث رغم ماتحمله من ضعف في التعبير وعدم قوة في التأثير، ومافيها من مساوئ الإعجاز القرآنى في حديثه عن فساد البيئة (التلوث).

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وإذا كان الرأى القانونى قد استقر على أن التلوث الذي يقع في البيئة هو ذاك الذي يجمع العناصر الثلاثة وهى:

1) حدوث تغير بالبيئة.
2) نسبته إلى الإنسان.
3) إلحاق الضرر بالكائنات.

فها هى الآيات القرآنية تقطع بوجود التلوث بعناصره قبل أن يرهق رجال القوانين الوضعية أذهانهم للكشف عنها والآيات كثيرة منها:

قال تعالى:{ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم: 41].

فقليل من التدبر في الآية يبصرنا بأنها جمعت العناصر الثلاثة المذكورة سابقا.

*** حدوث التغير بالبيئة:**

سواء كانت هذه البيئة مياه البحارأو الأنهار أو المحيطات أو البر ونشوء خلل في التوازن الفطرى الذي خلقت عليه من لدن العزيز الحكيم، وهذا قد عبرت عنه الآية الكريمة، أى ظهر التلوث والخلل بالموارد والنعم فخبثت التربة وتعرض للخطر نباتها وثمارها فصار فاسدا وفعل (ظهر) فعل ماض يدل على التغير والعدوان على البيئة التي وقع عليها بالفعل.

*** نسبته إلى الإنسان:**

عبر عنه بقوله:{بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم: 41]، أى أن أعمال الإنسان هى المسؤولة عن الفساد والتدمير والاضطراب الذي أصاب ثروات البيئة ومواردها وحرف الباء في قوله بما يفيد لزوم السبب والصلة بين ما اقترفته يد الإنسان، وما لحق من الضرر بما بث الله في الطبيعة من موارد ونعم فكل الفساد إنما جاء بسبب تدخل الإنسان ومحاولة تغيير خلق الله.

*** إلحاق الضرر بالكائنات:**

وهو إلحاق الضرر واحتماله بالموارد البيئية وفسادها وتدهور حالتها

وصيروريتها غير الصالحة أو غير ميسرة لما خلقت له وباتت مخلوقات الله من إنسان وحيوان ونبات وجماد في خطر يتهددها التدهور والفناء ولما كان الناس فقراء لاغنى لهم عما خلق لهم فى البيئة من موارد وثروات فقد دعاهم الله في نهاية الآية الكريمة إلى الرجوع عن بغيهم وسعيهم فسادا في الأرض وذلك في قوله تعالى:{لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41].

إخوة الإسلام:

والتلوث ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تلوث مادى أى:محسوس من الماء والهواء والغذاء والنبات.

القسم الثانى: تلوث غير مادى كالضوضاء وماتسببه من أرق وقلق وسرعة الغضب.

إخوانى في الله:

ولقد أعطى الإسلام ضوابط وقوانين للإنسان في هذه الحياة حتى يستطيع أن يحافظ على البيئة التي يعيش فيها من أهمها:

*** تحقيق معنى الخلافة في الأرض:**

إذ أنه من الطبيعى والمنطقى أن نحافظ على جميع ماسخره الله للإنسان وأن نستديم ما أنعم الله به علينا لنظفر بحياة طيبة لنا ولمن أتى من بعدنا إذ أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض من أجل عمارتها وفق منهج الله ورعايتها طبق أمره وتوجيهه في آفاق الحلال والحرام، ثم العمل على إبقاء هذه النعمة، والحفاظ على استمرار الانتفاع به، قال تعالى:{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 62].

*** الإنسان مؤتمن على الكون:**

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: 27] وروى الطبرانى عن ابن عمر ☻ أن النبى ﷺ قال:♂**لا إيمان لمن لاأمانة له ولاصلاة لمن لاطهور له**.

*** القصد والاعتدال والتوسط:**

فالإسلام يدعو إلى الوسطية والاعتدال، فلا إفراط فيه ولاتفريط، وشأن المسلم دائما أن يكون أمره وسطا، قال تعالى:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67] وقال النبى ﷺ : **سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا شيئا من الدلجة**[1].

*** عدم الإفساد في الكون:**

إذ لا شك أن من فساد الحياة إتلاف مكونات البيئة، وكل ذلك يعتبر فسادا، وهذا هو ما نهى الله عنه، قال تعالى{كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ الله وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة: 60] وقال تعالى{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ والله لاَ يُحِبُّ الفَسَاد} [البقرة: 204، 205].

إخوة الإسلام:

وهكذا نجد حديث القرآن الكريم عن البيئة والمحافظة عليها من التلوث، وبراعة القرآن الكريم في الحديث عن ذلك واستهلاله للإعجاز العلمى لأنه تنزيل من حكيم حميد.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * *

(1) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

الإسلام دين الصحة والنظافة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن المسلم ينبغى عليه في كل ساعة من عمره أن يسعى نحو الكمال، وأن يحث المسير إلى الارتقاء المادى والنفسى، وذلك لأن مستقبله عند الله مرتبط بالمرحلة التي يبلغها في تقدمه إن أدركه الموت وهو في القمة كان من أصحاب الفردوس الأعلى، بحسبه أن ينجو، وإن أدركه وقد رجع القهقرى وضل الغاية تخطفته زبانية العذاب الأليم، ومن كان في هذه الحياة أعمى فهو في الآخرة أضل سبيلا[1].

إخوة الإسلام:

إن الناظر لأولى آيات القرآن الكريم نزولا ليجد أن الإسلام أول نظام علمى يأمر بالتعقيم، فأول آية نزلت هى قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 2]، ونجد قول الله ﷻ:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: 4] فالآية الأولى نادت بالعلم والآية الثانية نادت بالنظافة، والتاريخ يشهد ويثبت أن الإسلام هو أول نظام علمى عرفته الإنسانية يأمر بالتعقيم، ويحارب التلوث، وقد أطلق الإسلام على كلمة التعقيم كلمة الطهارة، والمقصود بها خلو الشيء من الميكروبات، كما أطلق على الشيء الملوث أو الحامل للميكروبات كلمة النجاسة.

ثم إن الإسلام لم يترك كلمة النجاسة مطلقة دونما تعريف أو تحديد، بل اتبع الإسلام الأسلوب العلمى فحددها بالثلاث عشرة مادة وهذه المواد هى ماتعرف بالمواد الناقلة للميكروب منها: القيح أو الصديد، والبراز، والدم المسفوح، والبول، والقيء ولعاب الكلب، وجسم الخنزير، وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت كل هذا وسط صالح لنمو البكتريا. ومن حكمة التشريع الإسلامى أن الثوب إذا أصابه شيء من هذه الأشياء

(1) خلق المسلم (محمد الغزالي).

يشترط الإسلام للتأكد من إزالة هذه النجاسة أن تزيل لون النجاسة ورائحتها أيضا.

و من هنا كان الإسلام هو أول نظام عرفته الإنسانية يشير إشارة واضحة وصريحة إلى الميكروبات و الطفيليات التي تصيب الإنسان بالمرض، وذلك قبل أن يكتشف (الميكروسكوب) هذا بأربعة عشر قرنا.

الطريقة التي شرعها الإسلام لإبقاء الجسم نظيفا في كل وقت تقوم على ربط الغسل الواجب بأحوال الطبيعة المادية في الإنسان، فلو كان الأمر روحا فقط ما احتاج إلى متابعة الغسل والتنقية والتطهير من الخارج.

إخوة الإسلام:

إن صحة الأجسام وجمال نضرتها من الأمور التي وجّه الإسلام إليها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحا في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدا عن الأدران المكدرة والأحوال المنفرة. وليست صحة الجسد وطهارته صلاحا ماديا فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الإنسان بالنهوض بأعباء الحياة.

والإسلام لم يدع أمر الغسل الكامل للظروف التي تفرض فرضا، فقد يتكاسل بعض الناس عن الاغتسال مادامت فروضه لم تقم، لذلك وقت للغسل يوما في كل أسبوع. قال النبى ﷺ :♂**غسل الجمعة واجب على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب**ـــ[1].

وقد أوجب الإسلام النظافة من الطعام، فبعد أن ندب على الوضوء قبله ويكفى غسل الأيدى، أمر بأن يتخلص الإنسان من فضلاته وروائحه وآثاره وهذا أنقى للمرء وأطيب. قال النبى ﷺ : ♂**بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده**ـــ[2] أما بالنسبة لبقايا أثر الطعام في اليد فإنها تعود

(1) رواه مسلم.
(2) رواه أبو داود.

بضرر على الشخص ولايلومن إلا نفسه. لذلك يقول النبى ﷺ : ♂**من بات في يده ريح غمر**[1] **فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه**♂[2].

أما بالنسبة للفضلات المتبقية بين الأسنان، يقول النبى ﷺ :♂**إنه ليس من شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبها طعاما وهو قائم يصلى**♂[3] ومن عظمة هذا الدين أن العلم الحديث قد أثبت أن السواك يحتوى على مادة الفلوريد وفيتامين (ج). وعناية الدين بتطهير الفم، وتجلية الأسنان، وتنقية مابينهما لانظير لها في وصايا الصحة القديمة والحديثة يقول النبى ﷺ :♂**تسوكوا فإن في السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب، ماجاءنى جبريل إلا وأوصانى بالسواك، حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى**♂ وفى رواية:♂**لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزل على فيه قرآن أو وحى**♂[4] وقد استخلص معجون من مادة السواك يتصدره الحديث الشريف باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

إخوة الإيمان والإسلام:

لقد أوصى الإسلام - كذلك - بأن يكون المرء حسن المنظر، كريم الهيئة، وقد ألحق هذا الخلق بآداب الصلاة. قال تعالى:{**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**} [الأعراف: 31] والرسول الكريم يعلم المسلم فن سمته وقلبه وهيئته أن يكون جميلا مقبولا، ولذلك يقول:♂**من كان له شعر فليكرمه**♂[5].

إن الأناقة في غير سرف، والتجمل في غير صناعة وتذويق وإحسان (الشكل) بعد إحسان (الموضوع) من تعاليم الإسلام الذي ينشد لبنيه علو المنزلة وجمال الهيئة. قال النبى ﷺ :♂**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**♂[6] فقال رجل: إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله

(1) زهوة اللحم.
(2) رواه البزار.
(3) رواه أحمد.
(4) رواه ابن ماجة.
(5) رواه ابن ماجة.
(6) رواه مسلم من حديث ابن مسعود.

حسنا فقال: (إن الله - تعالى - جميل يحب الجمال) وعن عطاء بن يسار قال: أتى رجل للنبى ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره، ففعل ثم رجع، فقال ﷺ: ♂**أليس هذا خير من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان**♂.

وهذا رسول الله ﷺ يقول: ♂**واتقوا الذر فإن فيه النسمة**♂. والذر هو الغبار، والنسمة أى الميكروبات.

ومما يؤسف له أن بعض محترفى التدين يحسبون فوضى الملبس واتساخه ضربا من العبادة، تعمدوا ارتداء المرقعات والتزيى بالثياب المهملة ليظهروا زهدهم في الدنيا وحبهم في الآخرة، وهذا من الجهل الفادح بالدين والافتراء على تعاليمه فهذا النبى ﷺ يقول عنه الصحابى الجليل البراء بن عازب: (وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا أحسن منه قط)[1].

عباد الله:

وللجسم السليم أثر عظيم لا فى سلامة التفكير فحسب، بل في تفاؤل الإنسان مع الحياة والناس وكما يقولون: العقل السليم في الجسم السليم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ: ♂**نهى أن يبال في الماء الراكد**♂[2] وعنه أيضا: ♂**نهى أن يبال في الماء الجارى**♂ [3].

أحبابى في الله:

والوضوء له فضل عظيم، وأثره على نظافة الإنسان لاتنكر أبدا. والوضوء لغة مأخوذ من الوضاءة والنظافة في غسل أعضاء مخصوصة بنية. يقول الله ﷻ: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلوةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ}** [المائدة: 6].

(1) رواه مسلم.
(2) رواه مسلم .
(3) رواه الطبراني.

ومن خلال الآية السابقة يتضح لنا الحكمة من الوضوء وعلاقتها بالطب، ولاسيما (الطب الوقائى للإنسان) من الأمراض الجلدية التي يتعرض لها إذا لم ينظف أعضاء جسمه، وبخاصة المعرضة للعوامل الجوية ومافيها من أتربة حاملة لجراثيم أو غازات ضارة. ولاشك أن الوجه والأيدى والأقدام هى أكثر أجزاء الجسم تعرضا للتلوث والتأثر بهذه الميكروبات، لذلك فإن الوضوء خمس مرات في اليوم والليلة لايترك مطلقا أى درن في الجسم يخشى منه الضرر، وبذلك يكون الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية. يقول النبى ﷺ: **من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره**[1] ويقول ﷺ: **يدعون أمتى يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء**[2] ويقول أيضا: **إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا** ومن ثم كان الوضوء هو ترجمة لقاعدة علمية تقول: " إن الوقاية خير من العلاج ". فمثلا حين نغسل الأنف بالماء أثناء الوضوء للصلاة له فائدة عظيمة؛ ذلك أن تجويف الأنف يعتبر من الأماكن التي يتكاثر فيها العديد من الميكروبات بما لها من خاصية بيولوجية تشجع على تكاثر الميكروبات بها، وعندما نفحص هذه الميكروبات تحت الميكرسكوب المكبر نجد جميع أنواع البكتريا التي تنتقل منه إلى باقى أعضاء الجهاز التنفسى والجيوب الأنفية والأذن الوسطى وسطح الجلد، وأنه مايتم تنظيف الأنف وتطهيره حتى يختفى كثير من الأمراض، ذلك أن الأنف به شعيرات كثيفة ومادة دهنية ومادة مخاطية.

إخوة الإسلام:

يقول ربنا ﷻ: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222] إن الناظر للاغتسالات في الإسلام يجدها عديدة ومتنوعة، تبدأ بغسل يغتسله الكافر إن دخل الإسلام، إلى غسل الجنابة، وغسل التطهر من الحيض للمرأة، إلى غير ذلك.

(1) رواه مسلم.
(2) متفق عليه.

بل إن المرء ليعجب حين يعلم أن الوضوء يقى من بعض أمراض السرطان، فلقد أثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث أى ورم من الأورام السرطانية التي تسببها المواد الكيميائية؛ لأن الوضوء يزيلها قبل أن تتراكم بكميات تمكنها من النفاذ والتسرب من الجلد إلى داخل الجسم. لذلك نجد أن العاملين في صناعة البترول والكيماويات يكونون أكثر عرضة للإصابة بسرطان الجلد، فلو توضؤوا خمس مرات في اليوم والليلة يقيهم هذا الخطر، كذلك نجد أن أشعة الشمس فوق البنفسجية تسبب سرطان الجلد في الأماكن الظاهرة، ولاشك أن المحافظة على الوضوء تقلل من هذ الخطر [1].

فهذه - عباد الله - بعض حكم الوضوء التي كشفها الطب الحديث وأثبتها العلم وتؤكد عظمة دين الإسلام.

فاللهم طهرنا من ذنوبنا واحفظنا من كل سوء... اللهم آمين.

* * *

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام (السَّنه).

الماء بين العلم والدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن هناك مكونات أنعم الله بها على الإنسان في هذه البيئة، حتى يستطيع أن يعيش فيها ويتكيف معها، ومن أجل وأعظم هذه المكونات والنعم التي أنعم الله بها على الإنسان (نعمة الماء). هذا السائل الذي ينهمر من شآبيب رحمة الله، فتفيض بها الأنهار والبحار والبحيرات والعيون لأهميته وضرورته القصوى في الحياة لكل شيء خلقا وإصلاحا.

إخوة الإسلام:

ولهذا الماء خصائص منها: أنه سائل لالون له ولاطعم له ولارائحة له إذا كان نقيا، وهو يتكون من اتحاد عنصرين (الهيدروجين والأكسجين) وتركيبه الكيميائى كما هو معروف (يد2أ) أى: ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأكسجين. وقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم ما يقرب من ستين مرة، للتأكيد على أهميته كعنصر يجب الحفاظ على بقائه بخصائصه التي خلقها الله عليها لاستمرار الحياة والأحياء التي تعتمد على بقائها بخصائصها، وإذا انعدمت أو وهنت انعكس هذا على الحياة والأحياء بالعدم والفناء، ولايخفى على أحد أهمية الماء وضرورته للحياة، قال تعالى{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: 30] جاء في تفسير المنتخب: أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادتها، وهى وحدة البناء في تركيب الكائن الحى نباتا كان أو حيوان، كما أثبت علم الكيمياء أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء، فالماء إما وسط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه.

إخوة الإيمان والإسلام:

تأكيدًا على ماسبق نستطيع أن نقول أن الماء هو أساس الحياة، فإننا لانستطيع أن نتصور حياة بدون ماء، وإن أمكن وجود حياة بدون هواء،

فلا يوجد بين سائر الأحياء كائن واحد صغر أم كبر يستطيع الحياة بدون ماء، في الوقت الذي يمكننا فيه أن نرى بعض الأحياء تعيش بدون هواء ويطلق عليها كائنات لاهوائية، كبعض أنواع البكتريا، ولذلك نجد أن نسبة الماء في أجسام الأحياء النشطة (أي غير الساكنة) تتجاوز 90% فالماء نهر الحياة الدافق في العروق، ويعتقد العلماء أن الحياة أول مادبت على الأرض دبت في الماء، ونستأنس لذلك بآية الفتق والرتق، وهو قوله تعالى{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: 30] فنرى ورود الماء ذكرا بعد الفتق والرتق، كما نستأنس لقول العلماء أيضا بقول الله تعالى{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: 7] كذلك يذكر الصابونى في تفسيره والزمخشرى في كشافه أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض.

إخوتنا في رحاب الإيمان:

إن قصة الماء مع الإنسان قصة طويلة تبدأ منذ كان نطفة سابحة في الماء، ثم جنينا محفوظا في قراره المكين من كل أذى في قربة الماء، تصله أسباب الحياة كلها من أمه في الحبل السرى محمولة مع الماء، ثم وليدا يرشف أول غذاء له من ثدى أمه لبنا سائغا قوامه الماء. بل إن الماء مع الإنسان حتى في آلامه وأحزانه يسكبه دموعا تغسل أشجانه. فلا عجب أن يستطيع الإنسان الصبر على الجوع أياما كثيرة، ولكنه لايتحمل الظمأ إلا يوما واحدا

وإذا أردنا أن نعلم مصادر الماء فهى:

أولا: المطر: يقول تعالى:{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون: 18]، وقال:{وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ} [الأنفال: 11] وقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا} [النور: 43] أى: عندما يتصاعد بخار الماء من أسطح البحار والمحيطات يتكثف على شكل قطرات ماء دقيقة لاتلبث أن تتكون على هيئة وحدات صغيرة من السحب على أن يحدث تفريغ كهربى لكل

سحابتين تحملان نوعين مختلفين من الشحنة فيحدث البرق فتهطل المياه مطرا طيبا على الأرض فتحيا ويحيا عليها الأحياء. قال تعالى:{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُوم * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} [الحجر: 21 - 22].

ثانيا: المياه الجوفية: يقول المولى ﷻ:{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ} [البقرة: 74] ويقول:{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَافَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ} [الرعد: 17].

فمن رحمة الله ﷻ أن جعل للأرض قدرة على الاحتفاظ بجانب من ماء المطر في باطنها فضلا عما تحفظه في منخفضات هي البحار والمحيطات، فالمياه الجوفية تتسرب إلى الأرض ثم تستقر في أحواض تركيبية شاسعة يمكن استغلالها جيدا، كتلك الأحواض التي توجد في الصحراء الغربية بليبيا، كما قد تنفجر هذه المياه عيونا أو تتسرب إلى مناطق أخرى، عبر مسام التربة فتحييها بعد موتها. يقول تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} [الرعد: 17].

إخوة الإيمان والإسلام:

ننتقل إلى نقطة أخرى في هذا الموضوع الهام، وهي: نوع المياه وارتباطها بالحياة، فالبرغم من تنوع الماء إلى عذب وملح، فإن كلا منهما يؤدى للأحياء دورا كبيرا عظيم النفع، جليل الفائدة، ويتضح لنا هذا الدور في ضوء النصوص التالية:

يقول تعالى:{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} [فاطر: 12] ويقول:{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا} [فاطر: 12].

والمعنى: الماء العذب يستخدم في الشرب وري الأراضي الزراعية وسائر أغراض الحياة، كما يشترك مع الماء الملح في استخراج الأسماك

التي تستخدم في الغذاء واستخراج الحلى وتسيير السفن. وحديثا أمكن تحلية مياه البحر لاستخدامها في أغراض الحياة المختلفة.

رغم أهمية الماء القصوى لاستمرار الحياة، إلا أن هناك أشياء تلوث الماء فالماء يتلوث عن طريق المخلفات الإنسانية والنباتية والحيوانية والصناعية، التي تلقى فيه، أو تصب في فروعه إن كان ظاهرا، أو تتسرب إليه إن كان جوفيا ومن أبرز الملوثات:

(الصرف الصحى، المخلفات الصناعية، المفاعلات النووية، المبيدات الحشرية).

وتلوث الماء له آثار خطيرة، والخطورة الكبرى من تلوث المياه تكمن في تلوث المياه الصالحة للشرب، وهذا يؤدى إلى خطورة في تغيير الماء من حيث التركيب والطبيعة وعلى سرعة التيار، بالإضافة إلى أن الماء الراكد يكون مركزا خصبا لنمو الطفيليات وتكاثرها تلكم التي تتسبب في كثير من الأمراض كالكوليرا والبلهارسيا.

وإذا تأملنا قوله تعالى:{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد: 15] لوجدنا أن الآية الكريمة توجه الأنظار إلى أن الماء الآسن الراكد المتغير ماء ضار أو على الأقل لايرقى في نقائه ونفعه إلى مستوى الماء الجارى. وهذا ما قررته الآية قبل اكتشاف الميكرسكوب والمناظير.

إخوة الإسلام:

ولقد وجه النبى ﷺ إلى حماية الماء من التلوث. فعن جابر بن عبد الله، أن النبى ﷺ :♂**نهى أن يبال في الماء الراكد**[1]. وعن جابر، أيضا، أن النبى ﷺ :♂**نهى أن يبال في الماء الجارى**[2]. وعن قتادة ﷺ أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء حتى لا يتغير ريح الماء ولا يمرض شاربه.

(1) رواه مسلم.
(2) رواه الطبراني في الأوسط.

وعن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال لسعد: ♂لا تسرف في الماء وإن كنت على نهر جاري♂[1].

عباد الله:

ولقد ذكر النيل والفرات في سنة النبى ﷺ فلقد روى البخارى ومسلم من طريق شريك بن نمرة، أن النبى ﷺ رأى في السماء الأولى نهرين يطردان فسأل عنهما. فقال: (هذا النيل والفرات). ونهر النيل ينبع من بحيرات وهضبة أفريقيا. أما نهر الفرات فإنه ينبع من جبال أرمينيا. وهذان النهران لهما وجودات متعددة تبدأ من النبع العام في سدرة المنتهى، وتنتهى إلى ما شاء الله، وفيه إشارة على أن الله أراه هذين دون غيرهما وأنهما المركزان اللذان تركزت فيهما قوة الإسلام ومنهما انتشرت الدعوة إلى سائر الأقطار والشعوب. فرؤيته لهما بشارة كبرى بأن رسالته ستغمر الوجود وتعم سائر المخلوقات[2].

إخوة الإسلام:

وبالشكر تدوم النعم، فإن كل ما أنعم الله به على الإنسان من المكونات الرئيسية للبيئة يستوجب مزيدا من الشكر طمعا في استدامته. وقد أخطأ الجاحدون عندما زعموا أن هذه حقوق مكتسبة، ولقد رد الله عليهم أعظم رد وأبلغه حينما قال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك: 16] وقال ﷻ: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ} [الواقعة: 68، 69].

وقال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ} [الملك: 30].

ومن رحمة الله أن جعل للأرض قدرة على الاحتفاظ بجانب من ماء المطر في باطنها فضلاً عما يحفظ في البحار والمحيطات، كوجود المياه الجوفية التي توجد في الأحواض الموجودة في الصحراء الغربية بليبيا، كما قد تتفجر هذه المياه عيونا أو تتسرب إلى مناطق أخرى فتحييها عبر مسام التربة بعد موتها، قال تعالى: {أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ

(1) رواه أحمد.
(2) البيئة في الفكر الإنساني.

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} [السجدة: 26].

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

آمين.

* * *

نظرة الإسلام للحيوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام:

لقد خلق الله عز وجل آدم، وجعله خليفة [1] في هذه الأرض هو وذريته من بعده وأكرمه على سائر مخلوقاته، قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: 70].

وإذا كان آدم وذريته قاموا بعبادة الله وتسبيحه وحمده، فإن سائر المخلوقات من شمس وقمر ونجوم، الكل يسبح بحمد الله عز وجل قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: 18].

والمعنى: يخبر سبحانه أنه المستحق للعبادة وحده، لاشريك له وقد ذكر الله الشمس والقمر على التخصيص؛ لأنها عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد له، فهو خالقها وأنها مربوبة مسخرة، ثم يقول تعالى: (والدواب) وهى كل ما يدب على الأرض من سائر أنواع الحيوانات.

ومن ضمن هذه الدواب: الكلب، فهو خلق من خلق الله ﷻ ورغم كونه مخلوق حقير، إلا أنه يسبح بحمد الله، ذلك لأنه خلق من خلق الله. قال تعالى:{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: 44].

يقول ابن مسعود ﷺ كما ورد في صحيح البخارى: (كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) وفى حديث أبى ذر ﷺ أن النبى ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كطنين النحل، وكذا في يد أبى بكر وعمر

(1) معنى خليفة: من يخلف غيره وينوب عنه فهو مستخلف في تنفيذ الأوامر الربانية.

ويقول عبد الله بن عمر ﷺ: نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال نقيقها تسبيح، كما في سنن النسائى.

مما سبق يتبين لنا أن كل شيء في هذا الكون علويه وسفليه، يسبح بحمد هذا الإله الحق، الذي أبدع هذا الخلق لا إله إلا هو، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولقد ذكر (الكلب) في القرآن، لحكمة أرادها المولى ﷻ فهو القائل{إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} [البقرة: 26] فذكر الكلب في القرآن الكريم في أكثر من موضع ففى سورة (الكهف) يقول تعالى:{وَتَحْسَبُهُمْ (1) أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} [الكهف: 18].

والمعنى: قال بعض السلف: يقلبون في العام مرتين، قال ابن عباس ☻: لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة: الوصيد هو الفناء وهو الباب. ومنه قوله تعالى:{إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ} أى: مطبقة ومغلقة. قال ابن جريح: يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابه كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب، لأن الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب أو صورة كما ورد ذلك في الصحيح. وقد شملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا تنويه على بركة صحبة الأخيار، فإنه قد صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن. وقد قيل: إنه كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه. وقيل: كلب طباخ الملك وقد كان وافقهم على الدين وصحبه كلبه (2) والله أعلم. وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقى أن اسم كلب أصحاب الكهف (قطمير). ولاندرى هل نام الكلب نومة طويلة بمقدار الوقت الذي ناموه ثم بعث معهم أم ظل على هيئته حتى مات؟ لقد طوى الله عنا ذلك لأن أمره لايعنينا في ذلك المشهد.

(1) قيل: أن أهل الكهف من علية القوم وقيل: إنهم من الرعاة لاصطحابهم له وهذا شأن الرعاة.

(2) قصص القرآن.

وفى سورة الأعراف يقول الله ﷻ:{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث} [الأعراف: 176].

والمعنى: أن هذا الرجل الذي نزلت فيه مثل الكلب اندلع لسانه على صدره، فتشبيهه بالكلب في لهيثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر، وقيل: معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيثه في حالتيه إن حملت عليه وإن تركته وهو يلهث في الحالين، فكذلك لاينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولاعدمه. كما قال تعالى:{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [يس: 10] وقيل: إن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير فعبر عن هذا بهذا (نقل عن الحسن البصرى).

وآية سورة الأعراف هذه تضمنت إعجازا علميا، فلقد أثبت العلم وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان من نزول القرآن أن الكلب ليس له غدد عرقية، إلا القليل في باطن أقدامه، مما لايكفى لخفض درجة حرارته. فإن عمل الغدد العرقية بما تفرزه من عرق إنما هو لتلطيف درجة حرارة سطح الكائن والجو المحيط به، ولذلك فإن الكلب يستعيض عن عدم وجود الغدد العرقية الموجودة في غيره من الحيوانات عن طريق خفض درجة حرارته عن طريق (اللهث) الذي يعرض فيه أكبر مساحة من فراغ الفم واللسان للهواء، ودائما ما يفعل الكلب ذلك سواء كان مسترخيا أو مجهدا. ومن هنا يتبين لنا مدى الدقة العلمية في الآية الكريمة.

إخوة الإسلام:

والكلب ذكر في السنة النبوية أيضا. فقد بينت السنة النبوية أن الكلب ربما يكون سببا رئيسيا في دخول الإنسان الجنة، رغم أنه حيوان مستحقر ومستقذر.

يقول النبى ﷺ:♂**بينما رجل يمشى في الطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث وهو يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب ورواه، فشكر الله له فغفر**

لهـــ. قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم لأجرا؟! قال:ﷺ**في كل ذات كبد رطبة أجر**ـــ [1].

وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال:ﷺ**دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لاهى أطعمتها، ولاهى أطلقتها تأكل من خشاش الأرض**ـــ [2].

وإن تعجب - عبد الله - فعجب أمر هذه القصة التي أقصها عليك، فقد أعلنت حالة الطوارئ في السماء بنسبة 100 % من أجل كلب!! فقد روى أن رجلا في عهد نوح عليه السلام رأى كلبا أسود اللون فلم يعجبه شكله ومنظره، وتساءل لماذا خلقه الله بهذا اللون الأسود ثم بصق الرجل على الكلب. وينزل سيدنا جبريل عليه السلام على سيدنا نوح عليه السلام ثم قال له: (قل للرجل الذي بصق على الكلب: أتعيب الصنعة أم تعيب الصانع؟!).

وقد بلغ من شدة حب العرب قديما للكلاب أنهم كانوا يسمون بها أبنائهم، ومنهم كلاب اسم لرجل من أجداد سيدنا رسول الله ﷺ والكلب - أعزكم الله - حيوان شديد الوفاء لصاحبه، وشديد الرياضة. وقد قيل لأبى الدقيش الأعرابى لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسنها مثل مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا.

والكلب ينام نهارا عند الاستغناء عن الحراسة، وهو في نومه أسمع من فرس وأحرس من غيره بكثير، وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها، وذلك لخفة نومه. ومن عجيب طبعه أنه يكرم البيض من الناس وأصحاب الوجاهة، ولاينبح أحدا منهم، وينبح الأسود من الناس، وكذلك الدنس الثياب والضعيف الحال وصدق القائل حين قال:

يمشى الفقير وكل شيء ضده ::: والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ::: ويرى العداوة لايرى أسبابها

(1) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.
(2) رواه البخاري بلفظ نحوه.

حتى الكلاب إذا رأت رجل الغـنى ::: حنـت إليـه وحركـت أذيالهـا
وإذا رأت يومـا فقـيرا ماشـيا ::: نبحـت عليـه وكشـرت أنيابهـا

ويتميز الكلب بالوفاء، ويؤكد ذلك مارواه القزوينى في كتابه (عجائب المخلوقات) أن رجلا قتل بأصبهان، وألقى في البئر، وكان للمقتول كلب يرى ذلك، فكان يذهب كل يوم إلى رأس البئر، وينحى التراب عنه ويشير إليه، وإذا رأى القاتل نبح عليه، فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر فوجدوا القتيل بها، ثم أخذوا الرجل وقرروه فاقتص منه.

ومن طرائف ما ذكر كما جاء في كتاب الأمالى لأبى بكر القطيعى ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فمر بنا كلب، فما بلغت يداه رجله حتى مات، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال:♂**من الداعي على الكلب آنفا**؟ فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله فقال:♂**ما قلت**؟ قال: قلت: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، ياذا الجلال والإكرام اكفنى شر هذا الكلب بما شئت. فقال النبى ﷺ:♂**لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى**.

ويذكر الدميرى في كتابه (حياة الحيوان) عن عمرو بن دينار ﷺ قال: مما أخذ على العقرب ألا تضر أحدا في ليل أو نهار يصلى على نوح عليه السلام، ومما أخذ على الكلب ألا يضر أحدا حمل عليه في ليل أو نهار إذا قرأ قوله تعالى:**{وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ}** [الكهف: 18].

قال القرطبى في كتابه (التذكار في أفضل الأذكار): بلغنا عمن تقدم أن في سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الإنسان، وهى قوله تعالى:**{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}** [الرحمن: 33].

ومما ينبغى أن يعلم أن الكلب يسبب الكثير من الأمراض، فلقد أفاض العلم الحديث أن الكلب ينقل أمراضا كثيرة منها:

(الجرب، والضعف العام، والتيفود).

ولقد روى عن النبى ﷺ أنه قال:♂**إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه**

ثم ليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب. ولقد أباح الإسلام اقتناء الكلب عند الضرورة كالحراسة والصيد لقول النبي ﷺ: **من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولاماشية ولا أرض، فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم** [1].

نسأل الله الهداية والتوفيق

اللهم آمين

* * *

(1) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

المخدرات بين التحريم والتجريم

الحمد لله رب العالمين، أحل الحلال وأمرنا باتباعه، وحرم الحرام وأمرنا باجتنابه، وأشهد أن لا إله إلا الله، القائل - وقوله الحق -:{فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: 37 - 41].

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، القائل في الحديث الشريف:ﷺ**إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**(1) ثم أما بعد.

إخوة الإسلام:

سنتحدث عن هذا الموضوع الهام تحت عناصر أربعة، وهى:

* الانشقاق اللغوى لكلمة مخدرات.
* متى ظهرت المخدرات؟.
* أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار المخدرات.
* شبهة.. والرد عليها.

وقبل أن نتحدث عن العناصر السابقة، نود أن نوضح بعض الأمور، اعلموا - عباد الله - أن من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن أحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث. أحل الطيبات التي تتعلق بمأكلهم ومشربهم وملبسهم وغير ذلك من شئون حياتهم، وحرم عليهم الخبائث التي يترتب على الوقوع فيها ما يؤدي الضرر بهم في دينهم ودنياهم. وهناك الكثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي نصت على هذا المعنى وقررته.

قال تعالى:{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ

(1) رواه الشيخان من حديث النعمان بن بشير.

اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [البقرة: 173].

وقال النبي ﷺ: **إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه..** [1].

أولا: الاشتقاق اللغوى لكلمة (مخدرات):

إن على رأس الخبائث التي حرمها الله تعالى المخدرات بشتى صورها، وبمختلف أنواعها وأسمائها. وقد عرفت المخدرات بأنها المادة التي يؤدى تعاطيها إلى حالة تخدير كلى أو جزئى مع فقدان الوعى بصورة قد تختلف من شخص إلى آخر. وهذا التعريف مأخوذ من أصل معنى الكلمة في اللغة العربية، وإذ أن الخدر في اللغة العربية معناه: الكسل والثقل. قال صاحب المصباح المنير ج2 ص22: يقال: خدر العضو خدرا من باب تعب إذا استرخى فلا يطبق الحركة.

وقد قسم الخبراء المخدرات حسب مصدرها إلى:

(أ) **مخدرات طبيعية**: وهى المشتقة من نبات الخشخاش والقنب كالكوكا والحشيش والأفيون والمورفين والكوكايين.

(ب) **مخدرات تخليقية**: وهى التي تصنع في المعامل بطريقة كيميائية كالعقاقير المهبطة والمنشطة.

وفحوى الكلام في هذا الصدد عن المخدرات التي ثبت ضررها ثبوتا مؤكدا كالحشيش والأفيون، سواء أكانت تلك المفاسد تحدث عن طريق الشرب أو الشم أو الحقن.

ولقد تكلم العلماء قديما وحديثا كلاما طويلا عن أضرار المخدرات، فذكروا لها أضرارا متنوعة وعديدة منها:

*** أضرار صحية:**

من ذلك أنها تؤثر في أجزاء الجسم فتضعفها بعد أن كانت قوية،

(1) رواه الشيخان.

وتغرس فيها الكسل والبلادة بعد أن كانت نشطة ذكية، ويصاب الجسم بالوهن والضمور وضعف الأعصاب، وغالبا ماينتهى الإدمان بصاحبه إلى الجنون[1].

*** أضرار اقتصادية:**

من ذلك أنها تجعل متعاطيها يضع الكثير من أمواله في هذه السموم التي تفسد عليه معيشته، وقد يبيع ضروريات حياته، ويأخذ قوت أولاده، ويعتدى على مال زوجته، وقد يترك أهله جياعا، وقد يقترض قروضا من غيره لاطاقة له بسدادها.

*** أضرار اجتماعية:**

منها أنها على رأس الأسباب التي تؤدى إلى تفكك الأسرة، وإلى شيوع الطلاق، وإلى عدم الشعور بالمسئولية نحو أسرته، وهو يفقد هذا الشعور نحو نفسه.

*** ثانيا: تاريخ ظهور المخدرات:**

إن المخدرات لم يرد تحريمها بأسمائها المعروفة الآن، لافى القرآن ولافى السنة المطهرة؛ لأنها لم تكن موجودة لافى العهد النبوى، ولافى عهد الصحابة، ولافى عهد الدولة الأموية، ولامعظم عهود الدولة العباسية. وإنما المخدرات ظهرت خلال القرن السادس أو السابع الهجرى على أيدى التتار، الذين عرفوا آثارها السيئة، فأخذوا في إرسالها سرا عن طريق جواسيسهم إلى من يريدون محاربتهم؛ حتى يصاب الجيش المعادى لهم بالكسل والخمول، فيسهل عليهم الانتصار عليه.

ويرى بعض المؤرخين أن الحشيش قد عرف في سنة 658 هجرية ببلدة خراسان على يدى شيخ من المتصوفة يدعى حيدر. ويرى آخرون أن انتشار الحشيش في العالم العربى يرجع إلى طائفة الحشاشين التي كان يتزعمها حسن بن الصباح في أواخر القرن الخامس، وكان قادة هذه الطائفة يقدمون الحشيش لأتباعهم؛ حتى يقوموا بالاغتيال والقتل وهم في

(1) رأي الدين في المخدرات والمسكرات.

غير وعيهم[1].

ثالثا: أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار المخدرات:

هناك أسباب أدت إلى انتشار المخدرات من أهمها:

1)ضعف الوازع الدينى في النفوس: إذ إن الوازع الدينى متى ضعف في النفس البشرية، أقدمت على اقتران ما نهى الله عنه، فلا خوف ولاحياء، بل تستحب العمى على الهدى، وصارت في طريق المعاصى والشهوات والرذائل، متبعة في ذلك الهوى والشيطان، وكانت عاقبتها الخسران والبوار، وصدق الله إذ يقول:{فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: 237 - 239].

2)وجود المال بكثرة في أيدى بعض الطوائف الجاهلة، التي لم تشكر الله تعالى على نعمة المال، ولم تستعمله في وجوهه المشروعة، ولم تجمعه من طرقه الحلال، والمال إذا وجد في يد الإنسان العاقل الشاكر لنعم الله نفع وأفاد.

3) الجهل وعدم الشعور بالمسؤولية، والاستحقاق بما يجب على الإنسان نحو وطنه ونحو أسرته حميد ومن فعل طيب ومن عمل نافع يؤدى زيادة الإنتاج. ومتى كثر الجهل وعدم الشعور بالمسؤولية في أمة كان أمرها فرطا، تحولت المفاسد في نظرة جهلائها وسفهائها إلى محاسن. قال تعالى:{أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: 8].

هل هناك جهل أو سفاهة أشد من اعتقاد المتعاطى لهذه السموم، أنها تبعث فيه السرور، وتنسيه الهموم، وتقوى فيه الغرائز الجنسية.

إن العقلاء في كل زمان ومكان يحتقرون تلك المعتقدات الهابطة، والأفكار السيئة، والمسالك القبيحة، التي يكذبها التقاة من أولى العلم.

4) توهم كثيرون من الذين يتعاطون المخدرات أنه لم يرد نص

(1) رأي الدين في المخدرات والمسكرات.

شرعى بتحريمها، حيث إن النصوص الشرعية وردت بتحريم الخمر ولم تشر إلى تحريم المخدرات، التي من بينها الحشيش والأفيون، وما يشبهما كالتدخين. وهذا التوهم فاسد وخاطئ لوجوه من أهمها:

(أ) - عدم وجود هذه الأنواع من المخدرات كما بينا آنفا - في عصر النبى ﷺ وصحابته، وحتى في القرن السادس الهجرى.

(ب) ليس عدم ورود تحريمها في الكتاب أو السنة - بالاسم - يعنى أنها حلال، لأن التحريم للشيء قد يكون بنص أو جماع أو قياس. والقياس معناه: إلحاق أمر لم يرد في حكمه الشرعى نص من القرآن والسنة بأمر آخر ورد في حكمه الشرعى نص لاشتراك الرأيين في علة الحكم.

(ج) قال القرطبى في تفسيره (ج6 ص389): (لو التزمنا ألا نحكم بحكم حتى نجد فيه نصا لتعطلت الشريعة؛ فإن النصوص قليلة، وإنما هى الظواهر والعمومات والأقيسة) وأركان قياس المخدرات على الخمر في التحريم متوافرة إذ المخدرات كالخمرة في الإسكار، وحجب العقل وإضاعة المال.

يقول الشيخ شلتوت (رحمه الله): (هذه الأضرار التي ظهرت للخمر وعرفها الناس هى مناط تحريمها كان من الضرورى لشريعة تبنى أحكامها على حفظ المصالح ودفع المضار، أن تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث مثل تلك الأضرار أو أشد، سواء أكانت تلك المادة سائلا مشروبا أم جامدا، مأكولا أو مسحوقا مشموما، وهذا طريق من طرق التشريع الطبيعية. ومن الواضح أن قوله ﷺ: ♂**كل مسكر حرام**♂ لايقصد به مجرد التسمية؛ لأن الرسول ﷺ ليس واضع أسماء ولغات، وإنما القصد منه أن يأخذ حكم الخمر في التحريم والعقوبة.

ولقد أجمع الفقهاء القدامى والمحدثون، كأمثال ابن تيمية وابن القيم والشيخ حسنين محمد مخلوف، على حرمة المخدرات بعد أن تبينوا آثارها السيئة في الإنسان وبيئته ونسله.

نسأل الله أن يجنبنا الزلل وأن يهدينا إلى الصواب.. اللهم آمين.

* * *